مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية	المجلد 06/ العـــدد02 (2022)، ص ص428-480

دراسة استقرائية تحليلة لمنهج ابن القنفذ التاريخي من خلال مصادره التاريخية

An inductive and analytical study on Ibn al-Qunfud's historical methodology through his historical sources.

خريس فاطمة
جامعة وهران1 أحمد بن بلة (الجزائر)
kherrisfatima8@gmail.com

تاريخ الاستلام: ...../...../..... **تاريخ القبول:** ...../...../.....

الملخص:

يعالج موضوع البحث دراسة حول العالم الجزائري ابن القنفذ القسنطيني الذي يعدّ من أشهر المفكرين الإسلاميين في العصر الوسيط، ساهم في تطوير تاريخ العلوم العربية الإسلامية عامة والمغاربية خاصة، وتميز بالفكر العميق المتبصر الذي بناه على ضوء نظرته الواقعية لتاريخ الأمم، بأسلوب شيق ومثير، فأثرى المكتبة الإسلامية بزخم كبير من مؤلفات لا نظير لها من حيث تنوع مواضيعها، بأسلوب بسيط معروف في الكتابات التاريخية.

ولذلك سنحاول من خلال هذا البحث إعطاء لمحة عامة عن تاريخ هذا العالم الجزائري الأجل، وأعماله العلمية، وبما أن ابن القنفذ برز بعلومه الموسوعية ونبوغه في علم التاريخ ارتأينا تسليط الضوء على منهجه في دراسة التاريخ واكتسابه للمعرفة التاريخية خاصة في دراسة الدول، لأنه يعدّ من أهم العلماء الذين كتبوا في تاريخ بلاد المغرب وتعد كتاباته من المصادر الأساسية لكتابة تاريخ بلاد المغرب خلال القرن 8هـ/14م.

الكلمات المفتاحية:

ابن القنفذ القسنطيني، علم التاريخ، مدينة قسنطينة، الدولة الحفصية، المنهج التاريخي.

Abstract :

The research deals with a study on the Algerian scientist Ibn al-Qunfud Constantini, who is considered one of the most famous Islamic thinkers in the medieval era. Unparalleled books in terms of variety of subjects, in a simple style known in historical writings. Therefore, we will try, through this research, to give an overview of the history of this long-term Algerian scientist, and his scientific works, and since Ibn al-Qunfud emerged with his encyclopedic sciences and his brilliance in the science of history.

We wanted to shed light on his approach to the study of history and his acquisition of historical knowledge, especially in the study of countries, because he is one of the most important scholars who wrote in the history of the Maghreb, and his writings are among the main sources for writing the history of the Maghreb during the 8th century AH / 14th century AD.

key words :

Ibn al-Qunfud Constantini of Constantine, the science of history, the city of Constantine, the Hafsid state, the historical method.

مقدمة:

شهدت مدينة قسنطينة منذ تأسيسها العديد من المحطات التاريخية، واحتضنت مختلف الحضارات العريقة التي مرّت في تاريخ البشرية، الأمر الذي جعلها تكتسب مكانة حضارية وتاريخية خاصة في العهد الحفصي الذي عرفت فيه قسنطينة ازدهاراً ثقافياً ونهضة علمية واضحة في عدة علوم، وما زالت تحتفظ بكثير من معالمها الأثرية التي تشهد لها بالعمق الحضاري، جعلتها محطة أنظار الباحثين على مرّ العصور، ونظرا لما شهدته المدينة من حياة علمية نشطة برز من خلالها علماء أجلاء اشتهروا بالوظائف والتدريس والتأليف وكان من أشهرهم ابن القنفذ القسنطيني الذي لعب دورا فعالا على المستوى السياسي والثقافي بمدينة قسنطينة، حيث برع في الكثير من العلوم، وتولى أيضا وظيفة القضاء خلال العهد الحفصي.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة فيما يلي:

- كونها تبحث في معرفة إسهام ابن القنفذ القسنطيني في إثبات إمكانية بناء معرفة تاريخية خلال العهد الحفصي.
- إبراز المنهج الخاص الذي يتّبعه المؤرخ و الذي يقوم على منهجٍ دقيق وواضح يُمارس المؤرخ من خلاله الملاحظة والنقد للأخبار للوصول إلى الحقيقة التاريخية.

أهداف الدراسة:

تتمثل أهداف الدراسة فيما يلي:

- التعريف بتراث الحضارة الإسلامية في المغرب الأوسط خلال العهد الحفصي.
- إسهام أحد أعظم المؤرخين المسلمين وهو ابن القنفذ القسنطيني في علم التاريخ، فقد هالنا هذا العطاء السخي للمؤرخ في حقل هذا العلم.
- الوقوف عند مختلف المؤثرات الأولى التي ساهمت في تشكيل شخصيته، والتطرق إلى أهم مؤلفاته، بالإضافة إلى منهجه الذي تركه حول المعرفة التاريخية.

الإشكالية:

تتمثل الإشكالية التي نطرحها ضمن هذه الدراسة فيمايلي: هل استطاع ابن القنفذ القسنطيني الوصول إلى الحقيقة التاريخية من خلال منهجيته في دراسة وعرض الأحداث والوقائع التاريخية؟

وتتفرع هذه الإشكالية إلى مجموعة من التساؤلات: من هو ابن القنفذ القسنطيني؟ ماهي أشهر مؤلفاته؟ وماهو منهجه التاريخي في دراسة في تدوين الأحداث التاريخية؟

منهج الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي الذي يتناسب مع الموضوع، حيث يقوم على جمع البيانات، وملاحظة الظواهر وربطها، وتعميم الدراسة الخاصة إلى دراسة عامة، كما اعتمدنا على المنهج التاريخي السردي الذي يقوم على سرد الأحداث والوقائع التاريخية وفق التسلسل الزماني والمكاني بناءً على أحداث متماسكة، ويتخلله المنهج التحليلي الذي يقوم على جمع و تحليل الأحداث التاريخية ومادتها، وتفسيرها تفسيراً دقيقاً وعميقاً في نفس الوقت للوقوف على العوامل التي أثرت عليها بعد التأكد من مدى صحة تلك البيانات.

فرضيات الدراسة:

من أجل الإحاطة بجوانب المشكلة البحثية للدراسة يمكن صياغة الفرضية على الشكل التالي:

- تفرض الدراسة إبراز دور ابن القنفذ القسنطيني في تاريخ السير والتراجم، أسهم بشكل فعال في منهجية تاريخية يستند عليها معظم المؤرخين.
- عدم انتباه الباحث إلى ضرورة التّعامل مع المصادر بذكاء وفطنة يؤدي إلى عدم الوصول إلى الحقيقة التاريخية وبالتالي الوقوع في الأخبار المغلوطة.

1/- التعريف بابن القنفذ القسنطيني:

أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون، أبو العباس، الشهير بابن الخطيب وبابن قنفذ، القسنطيني[1]، سبب شهرته الأولى أن جدّه تولى الخطابة منذ خمسين سنة أو ستين سنة في مدينة قسنطينة[2]، ثم تولاه من بعده ابنه(والد المؤلف)، أما شهرته بابن القنفذ فهي شهرة عائلته القديمة ولا يعلم لها سبباً، ويعود نسبه إلى مدينة قسنطينة في الشرق الجزائري.[3]

يعدّ ابن القنفذ القسنطيني من نوابغ الأعلام، فهو نموذج حي لعصره الذي تميز بالانحطاط السياسي، إلاّ أنّ هذا الوضع ساعده على شحذ موهبته العلميّة واهتمامه الكبير بالتاريخ، حتى صار عالماً عظيماً وفي هذا الشأن يقول أبو القاسم سعد الله "إن جهود ابن القنفذ في ميدان العلوم العملية تجعله أيضا من كبار العلماء العقليين في القرنين الثامن والتاسع".[4]

لم يذكر ابن القنفذ تاريخ ولادته لكن صاحب نيل الابتهاج يذكر استنادا إلى رواية الإمام ابن مرزوق الحفيد وغيره، أنّ مولده في حدود 740هـ/1339م اعتمادا على قول ابن القنفذ نفسه:

مضتْ ستونَ عامًا من وجودي وما أمسكتُ عن لعبٍ ولهوِ

---

[1]- ابن القنفذ القسنطيني، (1965م) انس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي وادولف فور، الرباط، المركز الجامعي للبحث العلمي، ص ت/ ابن القنفذ القسنطيني،(1983م)، كتاب الوفيات، تح: عادل نويهض، ط4، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ص6./ أحمد بابا التنبكتي، (2000م)، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، طرابلس، درا الكتاب، ص109./ عادل نويهض، (1980م)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ص268./ ابن القاضي المكناسي، (1973م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، ج1، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، ص154./ خير الدّين الزركلي، (2002م)، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ج1، ط15، بيروت، دار العلم للملايين، ص117.

[2]- قسنطينة: من مشاهير بلاد افريقية، بين تيجس وميلة. ينظر: الحميري، (1984م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح : إحسان عباس، ط2، بيروت، مكتبة لبنان، ص480.

[3]- ابن القنفذ، كتاب الوفيات، ص6.

[4]- أبو القاسم سعد الله، (1998م)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ص67.

وقد أصبحتُ يومَ حلولِ إحدى وثامنةٍ على كسلٍ وسهوِ
فكم لابنِ الخطيبِ من الخطايا وفضلُ اللّه يشملُهُ بعفوِ.[5]

بدأ دراسته على والده الذي كان أديبا مرموقا مع الاتجاه صوفي وعلى جدّه لأمه، ولما بلغ التاسعة عشر من عمره توجه إلى فاس[6] سنة 759هـ/1358م للأخذ عن علماء جامعتها الشهيرة، وقد ظهرت نجابته في كل العلوم التي درسها قبل سفره والتي أهلته للاستفادة من الأساتذة الكبار الذين تتلمذ عليهم بفاس[7]، ولهذا فقد اكتسب ابن القنفذ خبرته الواسعة من خلال الرحلات التي قام بها في بلاد المغرب، مما جعلته يدوّنها لنا في كتبه التي كانت مرجعا للمؤرخين لعدة قرون.

من أشهر العلماء الذين أخذ عنهم أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني(ت781هـ/1379م) الشهير بلقب الخطيب والجدّ والرئيس، عالم في فنون العلم والأدب والدين والسياسة، سمع منه ابن القنفذ صحيح البخاري وغيره في مجالس مختلفة، والشريف التلمساني(ت771هـ/1369م) من أعلام المالكية في عصره، وأبو محمد عبد الله الوانغيلي الفاسي (ت779هـ/1377م) وقد ذكره ابن القنفذ في كتابه أنس الفقير وقال في كتابه الوفيات:"قرأت عليه مختصر ابن الحاجب في الأصول والجمل في المنطق، وحضرت مدة درسه المدونة"[8]، وأبو عمران العبدوسي (ت776هـ/1374م) ذكره ابن القنفذ في الوفيات قال:"وكان له مجلس في الفقه لم يكن لغيره في زمانه، ولازمته في درس المدونة والرسالة بمدينة فاس مدة ثمان سنين".[9]

كما تتلمذ على يد الشيخ أبو زيد عبد الرحمن اللجائي الفاسي(ت773هـ/1371م) ذكره ابن القنفذ في الوفيات وقال:"وشيخه أبو العباس ابن البناء، حاز عنه علومه بتحقيق، وأفادنا هو جملة منها"[10] وأبو العباس أحمد بن القاسم القباب الفاسي المتوفى سنة 788هـ/1386م وأبو علي حسن بن أبي القاسم ابن باديس القسنطيني (ت787هـ/1385م) والصوفي الكبير محمد فتحا بن إبراهيم النفزي الفاسي المعروف بابن عباد (ت792هـ/1390م) وهو شارح الحكم العطائية وغيرهم.[11]

نستنتج مما سبق أنّ الجوّ العلمي الذي ميّز قسنطينة من خلال ازدهار الحركة الفكرية بها وظهور العديد من العلماء والمشايخ الأجلاء، جعل منها مركزا هامّا من مراكز الإشعاع الثقافي، تضاهي به غيرها من مراكز العلم بالمغرب الإسلامي، وبرز فيها ابن القنفذ القسنطيني الذي نهل عن مشيختها مختلف العلوم ومارس التدريس والتأليف والقضاء وشارك في مختلف المجالس العلمية.

---

[5]- أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص110.

[6]- فاس: مدينة عظيمة، وهي قاعدة المغرب وهما مدينتان مقترنتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادي فاس. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص434.

[7]- ابن القنفذ القسنطيني، انس الفقير، ص ت./كتاب الوفيات، ص7-8.

[8]- ابن القنفذ، كتاب الوفيات، ص8-9.

[9]- المصدر نفسه، ص9.

[10]- نفسه، ص9.

[11]- ابن القنفذ، انس الفقير، ص ج.

أعجب ابن القنفذ بالوسط العلمي الذي وجده في بلاد المغرب ولم يكتفي بالتبحر في العلوم العقلية والنقلية من فقه وحديث ونحو وتاريخ ومنطق ورياضيات وفلك وطب وغير ذلك من معلومات ذلك العصر بل انكب على التعمق في أسرار التصوف والبحث عن رجاله وملاقاتهم[12]، ويؤكّد صحّة ذلك أنّه ترك لنا إرثاً زاخراً عبر مؤلّفاته.

أقام ابن القنفذ ثمانية عشر عاماً في المغرب الأقصى (759-776هـ/1358-1374م)، طاف في ربوعها ولقي عددا من المتصوفين، وزار أضرحة الصالحين، ومن المدن والنواحي التي دخلها مدينة آسفي[13] التي زارها سنة 763هـ/1362م حيث وقف على قبر أبي محمد صالح الصوفي الشهير أحد الأقطاب الروحيين الذين طبعوا الحياة الدينية المغربية بما كان له من التلاميذ والأتباع[14]. كما ولي ابن القنفذ القضاء بدكالة[15] سنة 769هـ/1367م حيث قال:"وقد حضرت مع جملة من هذه الطوائف زمان قضائي بدكالة، وكان الاجتماع في شهر ربيع الأول سنة تسع وستين وسبعمائة"[16]، كما زار نواحي أخرى بدون تحديد تاريخ ذلك مثل سكساوة ومدينتها المسماة القاهرة وازمورة[17] وصفروا.[18]

وفي سنة 776هـ/1374م عاد ابن القنفذ إلى قسنطينة فمرّ أولا بتلمسان[19] وزار ضريح أبي مدين التلمساني حسب قوله:"وآخر زيارتي له عند اجتيازي عليه في ارتحالي من المغرب إلى بلد قسنطينة وذلك في سنة ست وسبعين وسبعمائة. وفي هذه السنة كانت المجاعة العظيمة في المغرب، وعمّ الخراب به"[20]، ثم رحل إلى تونس حيث قرأ على أبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي كتابه "المختصر" بدويرة جامع الزيتونة، ثم عاد إلى قسنطينة فولي الخطبة والإفتاء والقضاء، وعكف على نشر العلم بالتدريس والتأليف ولا شك أنه قد كان وضع بعض مؤلفاته في بلاد المغرب أو بدأ بعضها وأتمها ببلده، وتوفي رحمه الله في ليلة الجمعة الثانية عشرة لربيع الأول من سنة تسع وثمانمائة[21].

---

[12]- ابن القنفذ، انس الفقير، ص ج.

[13]- آسفي: بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المحيط، وفيها نحو أربعة آلاف كانون. ينظر: ليون الافريقي، (1983م)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص147.

[14]- ابن القنفذ، انس الفقير ، ص ح./ Kisaichi Masatoshi, Institutionalized Sufism and Non-Institutionalized Sufism: A Reconsideration of the Groups of Sufi Saints of the Non-Ṭarīqa Type as Viewed through the Historical Documents of Medieval Maghreb 2008, Kyoto Bulletin of Islamic Area Studies, 2-1 , P38.

[15]- دكالة: تبتدئ من تنسيفت غرباً، وتنتهي على شاطئ المحيط شمالا، وعند وادي العبيد جنوبا، وأم الربيع غرباً. ينظر: ليون الافريقي، المصدر السابق، ج1، ص147.

[16]- ابن القنفذ، انس الفقير، ص ج و ح./كتاب الوفيات، ص10-11. / عادل نويهض، المرجع السابق، ص268.

[17]- أزمور: مدينة تقع في دكالة من بناء الأفارقة على مصب نهر أم الربيع في البحر المحيط. ينظر: ليون الإفريقي، المصدر السابق، ج1، ص157.

[18]- ابن القنفذ، انس الفقير ، ص خ.

[19]- تلمسان: قاعدة بالمغرب الأوسط، وهي مدينة عظيمة قديمة، عاصمة الدولة الزّيانيّة، وللتفصيل في تاريخ هذه المدينة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص135-136.

[20]- ابن القنفذ، كتاب الوفيات، ص11.

[21]- ابن القنفذ، انس الفقير، ص خ./كتاب الوفيات، ص11-12./ أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص110./مجموعة مؤلفين، (1980م)، موسوعة أعلام المغرب، تح: محمد مجّي، ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص724./ محمود مقديش، (1988م)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري ومحمّد محفوظ، مج1، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص595./ عادل نويهض، المرجع السابق، ص268.

2-/- مؤلفاته:

دوّن ابن القنفذ القسنطيني كتبا عديدة، تحدث فيها بصراحة عن حياته وأعماله التي قد لا يحسن الحديث عنها، حيث يقول ابن الخطيب :"وقد سألني رجل عمّا وقع لي من التأليف ليكتب ذلك في رحلته، فأمليت عليه ما صادف زمانه من ذلك لحرصه على هذه المسائل"[22]، فمن أشهر مؤلفاته مايلي:

- **شرف الطالب في انس المطالب:** وهو شرح للمنظومة المسماة "القصيدة الغزلية في ألقاب الحديث" لأبي العباس أحمد بن فرج الأشبيلي وهي مصطلح الحديث وقد نشرها بليدن(هولندة) المستشرق رييش Risch مع شرحها لعز الدين ابن جماعة، ومع ترجمة وتعاليق بالألمانية سنة 1303هـ/1885م. أما شرف الطالب فتوجد منه عدة مخطوطات بالخزانة العامّة بالرباط وبالخزانة الوطنية بباريس[23]، دوّن فيها ابن قنفذ عدّة علوم مختلفة منها العلوم العددية أو الرياضية مما يدل على سعة اطلاعه وموسوعيته وعمق تفكيره وتعدد معارفه وتنوعها فزاحم بذلك الدارسين المختصين في علومهم.[24]
- **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية:** سمّاه بالفارسية نسبة للأمير الحفصي أبو فارس عبد العزيز، وكتب عن الحفصيين لاتصال عائلته بالحفصيين واتصال إكبار واحترام مع بقية رجال قسنطينة من خلال جدّه علي بن الحسن بن القنفذ وأبيه الذي كان خطيبا بالقصبة وتولى قسمة التركة على أبناء الأمير السبعة أبي يحي أبي بكر بعد وفاته وكان من بينهم ابنه الأمير أبو العباس أحمد والد أبي فارس الذي ألف له ابن القنفذ هذا الكتاب[25]، وقد نشر على الحجر بباريس سنة 1263هـ/1847م، كما أن المستشرق الفرنسي شربونو Cherbonnean نشر بعض النبذ من هذا التاريخ مع ترجمتها إلى الفرنسية في الجريدة الأسيوية مابين سنة 1264هـ/1848م وسنة 1268هـ/1852م . وتوجد النسخة المخطوطة منه في عدة خزانات منها الاسكوريال والخزانة الوطنية بباريس.[26]
- **كتاب الوفيات:** عبارة عن تاريخ صغير لوفيات الصحابة والعلماء والمحدثين والمفسرين والمؤلفين[27]، مرتبة على القرون وعلى تواريخ وفياتهم ورغم صغر حجم هذا الكتاب فقد نال انتشارا كبيراً لأنه مرجع سهل لمعرفة تاريخ وفيات الأعلام من رجال العلم المسلمين،

---

[22]- ابن مريم التلمساني، (1908م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد ابن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، ص508./ ابن القنفذ القسنطيني، (2003م)، شرف الطالب في أسنى المطالب، ابن القنفذ، تح: عبد العزيز صغير دخان، الرياض، مكتبة الرشد، ص237-240./ أبو القاسم الحفناوي، (1906م)، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، ص29-30.

[23]- ابن القنفذ، انس الفقير، ص خ.

[24]- محمد قويسم، (2019م)، علم الرياضيات وعلم الفلك في مدينة قسنطينة (القرن7-10هـ/13-16م)، المجلة التاريخية الجزائرية، سكيكدة، مج3(ع1)، ص110.

[25]- ابن القنفذ القسنطيني، (1968م)، الفارسيَّة في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: محمد شاذلي النيفر وعبد المجيد التّركي، تونس، الدار التونسية للنشر، ص84-95./ ابن القنفذ، انس الفقير، ص د.

[26]- ابن القنفذ، انس الفقير، ص د.

[27]- ابن القنفذ، الوفيات، ص17.

وتوجد منه نسخ مخطوطة كثيرة، وقد نشره مولوي محمد هدايت حسين بالهند سنة 1329هـ/1911م[28]، وقد ابتدأ بوفاة الرسول ﷺ أي المائة الأولى ووصل فيه إلى المائة التاسعة.[29]

- **تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد** قال عنه ابن القنفذ في آخر كتاب شرف الطالب:"وهو غريب" منه مخطوطة بالقاهرة. [30]
- **تسهيل المطالب في تعديل الكواكب**: ويسمى أحيانا تيسير المطالب، منه مخطوط في الخزانة العامة بالرباط في مجموع مسجل تحت عدد 512 مكررة وهو الثاني منه، وقد ذكر عنه ابن القنفذ في قائمته الواردة في آخر شرف الطالب انه "لم يهتد أحد إلى مثله من المتقدمين" كما توجد منه نسخة بالخزانة الملكية بالرباط تحت عدد 5262. [31]
- **تحصيل المناقب وتكميل المآرب**: هو شرح كتابه السابق الذكر وتوجد منه كذلك نسخة مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط في نفس المجموع بعد تسهيل المطالب. وكلاهما في علم الفلك. [32]
- **شرح منظومة ابن أبي الرجال** المسماة " المنظومة الحسابية في القضايا النجومية" يوجد من هذا الشرح مخطوطان بالخزانة العامة بالرباط أحدهما مسجل تحت عدد 466 والآخر تحت عدد 512 مكررة. [33]
- **شرح الأرجوزة التلمسانية في الفرائض**: ذكر ابن أبي شنب في مقالة بمجلة هيسبريس حول الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية أن هذا الشرح يوجد بإحدى الخزانات الخاصة بالجزائر. [34]
- **طبقات علماء قسنطينة**: ذكر ابن أبي شنب في نفس المقال حول الفارسية أن هذه الطبقات يظن وجودها بإحدى خزانات قسنطينة الخاصة. [35]
- **أنس الفقير وأنس الحقير**: ترجمة أبي مدين شعيب بن الحسن دفين تلمسان وبعض أصحابه ومعاصريه، وهذا الكتاب نوعا من التراجم لعدد من رجال القرون الثلاثة السابقة لحياة المؤلف، ويعتبر هذا الكتاب كدليل واضح على اهتمام ابن القنفذ بالصلاح والولاية والتصوف، وقد أطلق على كتابه عبارة "تقييد" للدلالة على الاختصار. فهو لم يخطط لكتاب كبير ولكنه قصد التعريف بهؤلاء الرجال مع ذكر أخبارهم ووفياتهم، وأحيانا ولاداتهم. فالكتاب كله يقع 78 صفحة.[36]

---

[28]- ابن القنفذ، انس الفقير، ص د.

[29]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص66.

[30]- ابن القنفذ، انس الفقير، ص د.

[31]- المصدر نفسه، ص د.

[32]- نفسه، ص د.

[33]- نفسه، ص ذ.

[34]- نفسه، ص ذ.

[35]- نفسه، ص ذ.

[36]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص65.

قدم لنا ابن القنفذ العديد من المؤلفات المشبعة بالآراء والأفكار لمسائل مهمّة في مختلف العلوم، وتعتبر مؤلفاته مصادر أساسية خاصة فيما يتعلق بتاريخ الدولة الحفصية، لأنه شاهد عيان للأحداث التي عاشها وعرف مكانة كبيرة بين سلاطين بني حفص، ونقلها لنا بكل دقة ومصداقية.

3/– منهجه:

اتّبع ابن القنفذ أسلوبا فنّيا في تدوين الأحداث التاريخية، الذي تميّز بمجموعة من الخصائص تتمثل فيما يلي

1/– حرصه على تقديم صورة صحيحة دقيقة لما وجده في وثائق شفوية حيّة، أو أخذه عن الملفات المحفوظة بمكتبات الدولة الحفصية بتونس خاصّة، دون إدّعاء ترتيب جديد للحوادث[37]، فهذا يدل على حرص ابن القنفذ على ضرورة الالتزام بأخلاق المؤرّخ النّاجح من خلال ذكره للمصادر وتوثيق مادّته.

2/– الترتيب الزمني المحكم من بداية الدولة إلى تاريخ انتهاء الكتاب، أي أوائل سنة 806هـ/1403م، وقد تمّ ضبط تواريخ دقيقة ومعلومات تحتمل الصحّة عن أهم الحوادث السياسية[38]، مثلا قد بدأ ابن القنفذ كتابة الفارسية بمؤسس الدولة الحفصية ثم وصل إلى أبي فارس. وهو ينتقل من موضوع إلى آخر بالحديث عن ولاية كل أمير من أمراء هذه الدولة . ويلصق باسم كثير منهم عبارة المجاهد أو المقدس أو هما معا. وبعد أن يذكر سنة تولية الأمير يعرض الأهم من الأحداث التي جرت في عهده فيذكر مآثره وحروبه وخصومه وانتصاراته بشيء من الافتخار والزهو وأوصاف المدح والتمجيد. ومن بين ما يذكره وفيات العلماء ونحوهم في عهد الأمير المدروس.[39]

3/– دقّة الملاحظة في كتابة الأحداث، خاصّة لما تحويه من معلومات عن الحفصيين عامّة وعن قسنطينة مسقط رأسه خاصة. [40]

4/– استعمال ابن القنفذ السجع ويتأنق في كتابته فإنه عند كلامه على مشاهداته وزياراته لمختلف النواحي التي تكلم عنها فإنه يعمد إلى أسلوب حي بسيط وإلى لغة لا تخلو أحيانا من بعض الألفاظ العامية كالمخايد للوسادات والصابة للمحصول الزراعي ونحوهما بل عندما يحكي كلام بعض الصوفية ممن التقى بهم يأتي بعبارات تكاد تكون عامية كقول مثلا: "أعطني سرجك نركب بها"[41]، وقد ذكر ابن أبي شنب في كلامه عن الفارسية أنه يستعمل عليها مسحة من لغة أهل قسنطينة والملاحظ في أنس الفقير أن العبارات القليلة التي تنتمي إلى اللهجة العامية كتذكير بئر وتأنيث كساء وغير ذلك[42]، فهو يتناول في كتاباته موضوعات محلية أو وطنية بلغة اليوم وليست عامّة أو إسلامية كما فعل زميله باديس.[43]

---

[37]– ابن القنفذ، الفارسيَّة، ص8.

[38]– المصدر نفسه، ص20.

[39]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص64.

[40]– ابن القنفذ، الفارسيَّة، ص20.

[41]– ابن القنفذ، انس الفقير ص ظ./ محمد قويسم، (2013م)، ابن القنفذ القسنطيني ومنهجه في كتابه التاريخ 710-810هـ/1340-1407م)، حوليات جامعه قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع7، ص240.

[42]– ابن القنفذ، انس الفقير ص ظ.

[43]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص63.

5/- يقوم منهج ابن القنفذ في ضبط مفاهيم دقيقة لكل من ألفاظ: الصوفي والولي والصالح والعارف في شكل نص مختصر وفي صورة مرتبة مطابقة للحالة التعبدية أو الاختصاص العلمي أو النشاط الاجتماعي لهذه الشخصية، ثم يعقبها بشرح دلالات هذه الألفاظ في نص موسع.[44]

6/- في الجانب الصوفي يتحول ابن القنفذ إلى دليل التصوف المغربي خلال القرن8هـ/14م، حيث تتميز مؤلفاته بنوع من الطرافة عندما يترجم لأشياخ الصوفيين أمثال الشيخ أبي مدين شعيب (ت594هـ/1198م) ولأصحابه وإخوته[45]، ويتحدث عن الأولياء وبعض الكرامات بشيء من البساطة والسذاجة مما يدل على فكرة التصوف السلبي والخرافي الذي انتشر في عهده[46] والذي يتناقض في جوهره مع روح الثقافة الإسلامية.

7/-لم يؤلف ابن القنفذ الفارسية طمعا في المال أو حظوة لكنه ألفه لأسباب أخرى[47]، وهذا ما أكد عليه ابن خلدون قائلا: "وإنّ فحول المؤرّخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيّام وجمعوها، وسطَّروها في صفحات الدَّفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفِّلون بدسائس من الباطل وهموا فيها وابتدعوها"[48]،فلم يكن ابن خلدون يثق في كتابات المؤرخين، وكان دائما يضعها محل الشّك، ولذلك نجده يدعو الباحثين إلى التحلّي بروح اليقظة وضرورة اكتساب مهارة القراءة للمصادر التاريخية التي تعتمد على التمحيص للوصول إلى الحقيقة التاريخية.

وقد ألف ابن القنفذ كتابه لأسباب أخرى فالسلطان عبد العزيز الحفصي، المكنى بأبي فارس، كان من مواليد قسنطينة، كما كان والده السلطان أحمد المكنى بأبي العباس، فكانت هذه الحقيقة كافية في ابن القنفذ إلى إهداء كتابه إلى السلطان القسنطيني الذي يحكم من حاضرة تونس، بالإضافة إلى ذلك فإن ابن القنفذ كان في خدمة الدولة الحفصية، ولعله شعر أن واجب الخدمة يقتضيه أن يكون معترفا بالجميل وقد يكون أراد بتأليفه وإظهار مكانة قسنطينة فيه، تبرئة مواطنيه من تهمة الثورة ضد السلطان أبي فارس التي قامت في قسنطينة، فخشي ابن القنفذ أن يكون لغضب السلطان على أهلها نتائج سيئة، فألف كتابه لا اعتذارا عما وقع ولكن إبرازا لمكانة قسنطينة وأهلها في خدمة الدولة الحفصية ومكانة أسرته هو خاصة في ذلك.[49]

8/- يحتوي الكتاب على الكثير من الأخبار عن أسرة ابن القنفذ وعن حياة المؤلف نفسه الذي يظهر عليه الاعتزاز ببلاده وبرجالها، فكثيرا ما يذكر عبارة بلادنا أو بلدنا في الحديث عن عالم أو مسجد أو نحو ذلك. ويعتبر الوفيات على غرابة اختصاره، من الكتب المفيدة التي يعود إليها الباحثون عن أخبار رجال بجاية وقسنطينة وتلمسان وكذلك أخبار علماء بلاد المغرب والأندلس وتونس وغيرهم.[50]

9/- كتب ابن القنفذ في التاريخ كلها صغيرة الحجم وتقع في شكل تقييد أو تذييل أو اختصار لكتاب مطول أو نحو ذلك.[51]

---

[44]- الطاهر بونابي، (2009م)، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، ص170.

[45]- نللي سلامة العامري، (2006م)، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، ط2، بيروت، دار الفرابي، ص35.

[46]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص64.

[47]- المرجع نفسه، ج1، ص63.

[48]- عبد الرحمن ابن خلدون، (2004م)، مقدّمة، تح: عبد الله محمد الدّرويش، ج1، ط1، دمشق، دار يعرب، ص81.

[49]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص63-64.

[50]- المصدر نفسه، ج1، ص66.

[51]- نفسه، ج1، ص66-67.

10/- التقليل من النصوص الشعرية والمحاورات والخطب والرسائل، بحيث لم يكثر ابن القنفذ من استخدامها وهو بذلك يخرج عن قاعدة الكثير من المؤرخين والإخباريين المسلمين الذين يكثرون من النصوص الأدبية والمحاورات والرسائل في مناسباتها التاريخية، فهي تكاد تكون منعدمة في كتابه الفارسية وانس الفقير.[52]

اتبع ابن القنفذ في كتابة التاريخ منهجا اختلف في تصنيفه عن مناهج ممّن كتبوا في التاريخ، وجعل من جميع الأحداث والوقائع التي دوّنها تسير وفق قانونٍ ثابت، خاصّة وأنه كان يدوّن تاريخه بموضوعية مركزا دائما على ملاحظة ومعالجة الآراء التي لا تتفق مع أفكاره، و ساهم من خلاله بتقديم ثروة علمية لا يستغنى عنها.

خاتمة:

يعدّ ابن القنفذ القسنطيني من العلماء البارزين، انصرف إلى طلب العلم والتفقه في الدين، حيث جمع بين العلم والرّحلة في طلبه، ليحصل على العلم من مصادره وعلى شيوخه متحمل في ذلك مشاق السفر، ينهل عن مشيختها مختلف العلوم، ودوّن كتبا عديدة في مختلف فنون العلوم، عكف المؤرخون على دراستها وتحقيقها، بل وكتبوا عنه مؤلفات كثيرة تؤكد وتشهد بأنّه كان من العلماء المسلمين العظماء، وبناء على ذلك نستخلص النتائج التالية:

1/- استفاد ابن القنفذ القسنطيني من خلال الرحلة العلمية التي قام بها في بلاد المغرب أنه إلتقى فيها بخيرة العلماء والأخذ منهم مختلف العلوم العقلية والنقلية.

2/-شارك ابن القنفذ القسنطيني في دفع الحركة العلمية في قسنطينة من خلال تأليفه للعديد من المؤلفات الثمينة في علومٍ شتي، والتي تحتاج إلى دراسة وتحقيق مساحاتٍ كبيرة منها.

3/- تميز أسلوبه بالدّقة والاختصار مع محاولة إدماج اللغة العامية التي كانت متداولة آنذاك في المجتمع المغربي ولا تزال إلى يومنا هذا.

4/-إقباله على دراسة تاريخ الدولة الحفصية معتمداً في ذلك على خبرته وتجاربه السياسية، وترك لنا آثارا خالدة حول هذا العهد مثل كتابه الفارسية وغيره للاستفادة منها، ولا تزال إلى يومنا هذا مرجعا لجميع الباحثين العرب والأجانب.

5/- تميز منهج ابن القنفذ من حيث المضمون أنه يذكر مختلف الأخبار والوقائع التي كان شاهدا عليها أو نقلها عن أشخاص آخرين ويذكر المصادر التي أخذ منها، إلى جانب بروز شخصيته المستقلة في دراسته للأحداث التاريخية.

ويمكن الخروج في نهاية هذه الدراسة بالتوصيات التالية:

1/- توصي الدراسة بإقامة مؤتمرات وملتقيات وطنية ودولية وكتابة الرسائل العلمية حول هذه الشخصية العلمية الفذّة، وتحقيق بعض أعماله التي لاتزال بحاجة إلى التعمق في دراستها والبحث فيها.

2/- ضرورة تدريس الطلبة مناهج المسلمين في كتابة التاريخ الإسلامي.

---

[52]- نفسه، ج1، ص66-67./ محمد قويسم، المرجع السابق، ص239-240.

3/- تدريب الطلبة على ضرورة التحلّي بروح اليقظة في القراءة للمصادر التاريخية، وضرورة تفعيل الحس النقدي للوصول إلى ما يعرف بالحقيقة التاريخية.

قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

- ابن القاضي المكناسي(1973م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، ج1، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة.
- ابن القنفذ القسنطيني (1965م)، انس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي وادولف فور، الرباط، المركز الجامعي للبحث العلمي.
- _____ ،(1983م)،كتاب الوفيات، تح: عادل نويهض، ط4، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
- _____ ، (1968م) الفارسيَّة في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: محمد شاذلي النيفر وعبد المجيد التّركي، تونس، الدار التونسية للنشر.
- _____ ، (2003م)، شرف الطالب في أسنى المطالب، تح: عبد العزيز صغير دخان، الرياض، مكتبة الرشد.
- ابن مريم التلمساني، (1908م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد ابن أبي شنب، الجزائر ، المطبعة الثعالبية.
- أبو القاسم الحفناوي، (1906م)، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، مطبعة بيير فونتانة الشرقية.
- أبو القاسم سعد الله، (1998م)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، بيروت، دار الغرب الاسلامي.
- أحمد بابا التنبكتي، (2000م)، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، طرابلس، درا الكتاب.
- الحميري، (1984م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح : إحسان عباس، ط2، بيروت، مكتبة لبنان.
- خير الدّين الزركلي، (2002م)، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ج1، ط15، بيروت، دار العلم للملايين.
- عادل نويهض، (1980م)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية.
- عبد الرحمن ابن خلدون، (2004م)، مقدّمة، تح: عبد الله محمد الدّرويش، ج1، ط1، دمشق، دار يعرب.
- ليون الافريقي، (1983م)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- مجموعة مؤلفين، (1980م)، موسوعة أعلام المغرب، تح: محمد مجّي، ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- محمود مقديش، (1988م)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري ومحمّد محفوظ، مج1، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- نللي سلامة العامري، (2006م)، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، ط2، بيروت، دار الفرابي.

- **المراجع الأجنبية:**

- Kisaichi Masatoshi, Institutionalized Sufism and Non-Institutionalized Sufism: A Reconsideration of the Groups of Sufi Saints of the Non-Ṭarīqa Type as Viewed through the Historical Documents of Medieval Maghreb ,(2008), Kyoto Bulletin of Islamic Area Studies, 2-1 ,

- **الأطروحات:**

- الطاهر بونابي، (2009م)، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ.

- **المقالات:**

- محمد قويسم، (2019م)، علم الرياضيات وعلم الفلك في مدينة قسنطينة (القرن 7-10هـ/13-16م)، المجلة التاريخية الجزائرية، سكيكدة، مج3(ع1)، ص109-123.
- _____ ، (2013م) ابن القنفذ القسنطيني ومنهجه في كتابه التاريخ (710-810هـ/1340-1407م)، حوليات جامعه قالمه للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ، ع7، ص231-254.